جريدة الحوار – 23 جانفي 2016

مدير المركز الوطني البيداغوجي لتعليم تامزيغت عبد الرزاق دوراري:

على الأكاديمية المنتظرة أن تخرج من الفكر التوحيدي للأمازيغية

■ اللغة مطلب اجتماعي يجب أن يلبى بتعدديته

■ مولود معمري لم يكن لسانيا وآجروميته كانت ناقصة

ناشد أستاذ التعليم العالي في علوم اللغة والترجمية عبد الرزاق دوراري، مدير مركز تامزيغت، أعضاء الأكاديمية المنتظرة، بضرورة التركيز على مبدأ التعددية اللغوية والثقافية في الجزائر، مع الابتعاد عن الفكر التوحيدي للأمازيغية التي تخضع "حسبه" لثلاثة أنماط اجتماعية، يجب أن تراعى علميا على مستوى الخبراء واجتماعيا، لأننا أمام علم اللسانيات الاجتماعية على اعتبار أن اللغة قبل كل شيء مطلب اجتماعي يجب أن يلبى كما طلب.

■ حاورته: خيرة بوعمرة

■يطرح موضوع ترسيم اللغة الأمازيغية عديد القضايا الهامة المرتبطة بمستقبل هذه اللغة اللصيقة بالهوية الوطنية أهمها موضوع اختيار الحرف الأنسب لكتابة الأمازيغية، ما رأيك في الموضوع؟

■■ تجدر الإشارة أنه بعد ترسيم اللغة الأمازيغية، أشار المشروع أنه لابد من أن تقوم الأكاديمية بعمل التهيئة اللغوية للغة الأمازيغية الموجودة منذ قرون خارج المجال الصوري، أي المجال العلمي والإداري والسياسي، وكل ما له علاقة بالكتابة بصورة خاصة. إذا نظرنا إلى التاريخ، لأنه واحد من العوامل التي تدخل في هذا الموضوع، فإن اللغة الأمازيغية أول ما كتبت بالتيفيناغ، وهي الكتابة التي تعود إلى أكثر من خمسة قرون قبل الميلاد، وهناك ألواح مكتوبة موجودة في المغرب تعود إلى خمسة قرون قبل الميلاد، وهناك كتابة موجودة في حجر "لوشا" في تونس، وهذا الحجر يتضمن عمودين واحد مكتوب بالحرف التيفيناغ والعمود المقابل له مكتوب بالحرف اللاتيني، ووفق هذه الطريقة توصل الباحثون إلى إعطاء القيمة الصوتية لتلك الرموز، وعليه فحرف التيفيناغ هو لصيق بالأمازيغية من حيث الهوية ومن حيث الأصول. أما الحرف الثاني، الذي كتبت به تامازيغت، فهو الحرف العبراني المربع، الذي استعمل في منطقة الشلوح في المغرب وكتبت به كتابات كثيرة إذا ما قيس بما كتب بحرف تيفيناغ، حيث كتبت مجموعة كبيرة من القصائد والمخطوطات بالعبرية. أما الخط الثالث، الذي كتبت به الأمازيغية، فهو الخط العربي الذي كتبت به مخطوطات كثيرة جدا، وهذه الكتابات متعلقة عموما بالفقه، وفي فترات كتبت به المادة الأدبية كالقصائد والحكايات، أي أن الحرف العربي استعمل بشكل كبير في منطقة القبائل والشاوية وفي منطقة الغرب عند الزناتة "تلمسان" وفي المغرب، في منطقة بني مزاب مثلا نجد على سبيل المثال المجموعة الشعرية "مطاون اينقاغن" مكتوبة بالعربية. أما الحرف اللاتيني أول ما استعمل من قبل المستعمرين لكتابة بعض القصص والقوانين العرفية التي كانت موجودة في منطقة القبائل، وبعض الجزائريين العربين أيضا كتبوا الأمازيغية بالحرف اللاتيني، على غرار "بلقاسم بن سديرة" من بسكرة وكان متكلما بالعربية الجزائرية وليس بالأمازيغية، وهو الذي كتب أول درس في الأمازيغية بالحرف اللاتيني وبعده "سعيد بوليفة"، وغيره من الأوروبيين والجزائريين الذين كتبوا بحوثا في المعاجم وفي القصص الشعبية باللاتينية. أي أن الحرف اللاتيني كان له استعمال شبه تاريخي، لكنه يأتي بعد العربية والعبرية والتيفيناغ.

■لكن مولود معمري ترك مؤلفات تضمنت قواعد الأمازيغية بالحرف اللاتيني، ألا يمكن الاعتماد عليها اليوم لكتابة الأمازيغية؟

■■ صحيح أن مولود معمري، وهو أحد أعمدة الثقافة الأمازيغية في بلادنا، وهو أديب وباحث في الأونتروبوجيا وليس لساني على الإطلاق، قام بوضع ما سماه "أجرومت تامازيغت" أي الأجرومية الأمازيغية، لأن ابن أجروم الأمازيغي كتب قواعد النحو العربي قديما، ومعمري حذا حذوه وسمى إنتاج بحثه "أجرومية تامازيغت"، وهو مؤلف أساسي ينظر إليه باحترام كبير في المجال الأمازيغي رغم أنه وجد بكثير من النقد من قبل المختصين في علم اللسانيات لأنه جاء بنقائص كبيرة، ومع ذلك بقي يستعمل في مجال التعليم والتربية إلى غير ذلك.

■هذا من ناحية التاريخ، لكن كيف يمكن أن ننشيء التراتبية لهذه الحروف؟

■■ ينبغي أن نعرف أننا حين نربط اللغة بالمجتمع يعطينا مقاييس واختيارات معينة، وعندما نأخذ اللغة في حد ذاتها كميكانزمات وبناء لساني فقط، فنحن نكون في موقف آخر.

حين نأخذ الموقف الأول، هنا كل منطقة تختار حرف من الحروف، ففي منطقة القبائل المنتشر والمقبول حاليا والمعمول به في مجال تعليم الأمازيغية هو الحرف اللاتيني، وفي منطقة الشاوية هناك ميل إلى الحرف العربي وأيضا عند الزايريين الذين يقدسون الحرف العربي، حيث هناك علاقة تقديسية للعربية، وهنا علينا أن نعرف أن الحرف لا يرتبط باللغة وإنما هو رمز و اللغة يمكن أن تكتب بأي حرف كان. وفي منطقة الميزي، يعتبرون حرف التيفيناغ رمز هوية لدى الطوارق.

■إذا فنحن أمام ثلاثة مجتمعات وبالتالي ثلاثة أنماط لغوية؟

■■هكذا، فاللغة القبائلية تتبع النموذج السنهاجي، يميلون إلى الحرف اللاتيني، بينما الشاوية والزناتية والمزابية فتتبع النموذج الزناتي، ويميلون للحرف العربي، وعليه فمن الناحية الاجتماعية اللغوية يجب أن يكون الأمر تعدديا.

■ماذا عن الناحية اللسانية؟

■■ من الناحية اللسانية المحضة، فإذا نظرنا إلى النموذج اللغوي الأمازيغي فهو شبيه إلى درجة كبيرة جدا باللغة العربية واللغة التيغرية واللغة العبرانية، وهذه النماذج اللغوية لم توضع هكذا اعتباطيا، بل انطلاقا من التشابه في الأصوات بين العربية والعبرية والتيغرية والأمازيغية .. وهو التشابه الصوتي وتراكيبي وصرفي .. وعليه وضعت هذه اللغات في نفس النموذج، وهذا معناه أن التقارب البنياوي يؤدي بها إلى الاقتراب من الحرف العربي وليس من الحرف اللاتيني، ولكن هذا من الناحية البنوية.

■ هذا من الناحية البنيوية المخبرية، لكن اللغة مطلب اجتماعي؟

■■هكذا حين نخرج من المخبر ونواجه المجتمع فهناك قضية أخرى، تكون أمام اللسانيات الاجتماعية، لأن اللغة يطالب بها المجتمع وينطق بها المجتمع، وعليه فكما طلب يجب أن يلبى طلبه. وعليه فيجب أن نخرج نهائيا من الفكر التوحيدي، أي أنه على الأكاديمية المنتظرة أن تشتغل بالعقل وليس بالعاطفة، لأن الجزائريين لديهم مواقف متعدد بخصوص اللغة الأمازيغية وعلى المشتغلين على مستوى الأكاديمية الأخذ بعين الاعتبار هذا التعدد اللغوي والثقافي الجزائري، وعلى المجمع أن يعمل على تنميق هذه اللغة انطلاقا من مبدأ التعدد، على أن يترك المجال للمستقبل لأن يحسم العمل بين الاتجاهات الثلاثة بما سينتجه كل اتجاه من إنتاج فكري ثقافي حضاري، و هو ما سيفرض مستقبلا حرفا من الحروف الكتابية.

■لكن هناك من يرجح كفة الحرف العربي الذي لا يمكن أن ننكر أنه لم يطور نفسه؟

■■ هناك فرق كبير بين حرف كتابة لغة معينة واللغة في حد ذاتها، لأن الحروف تعطي صورة عن اللغة ولكنها ليست هي اللغة، اللغة يمكن أن تكتب بأي حرف كان، الحواسيب لا تكتب إلا برمزين "1 و0" وكل لغة من لغات البشر يكتبها الحاسوب بسلسلات من 1 و 0، وعليه فلا ينبغي أن نعطي للحرف أكثر مما لديه من قيمة اللغة هي التي ترتبط بالأفكار، فإن طورنا الأفكار تتطور اللغة مهما كانت الحروف التي تستعمل، وإن بقيت اللغة متأخرة وهو حال العربية والعيب ليس في حروفها وإنما في الإنتاج الفكري لأن المجتمعات العربية لا تنتج لا فكرا ولا خبزا، حيث تكون اللغة غير منتجة، فهي تتسبب في تأخر المجتمعات التي تستعمل تلك اللغة.

وزارة التربية الوطنية

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵓⵙⴳⵎⵉ ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⴷ ⵓⵙⵎⵓⵜⵜⴳ ⵏ ⵜⵎⴰⵣⵉⵖⵜ

المركز الوطني البيداغوجي و اللغوي لتعليم تمازيغت